مهاجر مغربي: الترحيل القسريّ تدنيس للكرامة وإهانة لفرنسا

باريس
أحمد الميداوي

بعد أسبوع عن تقديمه الحصيلة السنوية لترحيل المهاجرين غير الشرعيين، والتي تجاوزت 30 ألف سنة 2012، من بينهم 2890 مغربيا، توصّل وزير الداخلية الفرنسي، مانويل فالس، برسالة إدانة واحتجاج من مهاجر من أصول مغربية على هذه الترحيلات القهرية التي تطال المهاجرين، العرب والأفارقة بشكل خاصّ.

ويستغرب المهاجر، الذي نشرت صحيفة «لوسوار» مقتطفات هامة من رسالته، كيف أن اليمين الحاكم يلجأ -كلما تدنت شعبيته لدى الفرنسيين- إلى «الاحتماء» بالهجرة من زاوية أنها السبب الأول والرئيسيّ في كل مشاكل فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، بدءا من القدرة الشرائية إلى البطالة والعنف..

وتقول الرسالة الموقعة باسم الغالي الشنوني، الباحث الجيولوجي الفرنسي من أصول مغربية: «يحق لك السيد الوزير، بعد الاستمتاع بأعياد رأس السنة، أن تتباهى في بيانك الصحافي الخاص بالهجرة السرية والصادر في مطلع السنة الجديدة، بحصيلتك في مجال ترحيل المهاجرين غير الشرعيين، التي انتقلت من 28 ألفا عام 2010، إلى 29 ألفا سنة 2011، وبعدها 30 ألفا في السنة التي ودعناها منذ أسبوع. وقد حدّدت بالتدقيق الكوطات الخاصة بكل عمالة، وكأنّ الأمر يتعلق بقطيع من الخرفان كل منهم مبصوم بوشمة العمالة المعنية حتى يسهل التمييز بينهم.. ويحقّ لك، أيضا، تمجيدُ من سبقوك في وزارة الداخلية والهجرة ممّن فرضوا شروطا تعجيزية على التجمع العائليّ ووضعوا نصوصا تحرم الآباء والأطفال من العيش في كنف أسرة واحدة ومتماسكة»..

وجاء في الرسالة، أيضا: «الترحيل القسري، يا سيادة الوزير، هو إذلال قبل أن يكون نكبة.. هو اغتصاب للشرف وتدنيس للكرامة البشرية، لاسيما إذا كان مقرونا بفصل الأبناء عن آبائهم وعزل الأزواج عن زوجاتهم. الترحيل، كما تمارسه أجهزتك الأمنية الفرنسية، هو إهانة لفرنسا ولمبادئها قبل أن يكون إهانة للمهجّرين. إنه وصمة عار في جبين هذا البلد، الذي مات من أجله المهاجرون لكي يستعيد حريته واستقلاله.. فهلا سألت ولاّة الشرطة إنْ كنت جاهلا بعمليات التصيد التي يقوم بها البوليس أمام المدارس والثانويات لاستنطاق التلاميذ عن أوضاع آبائهم واقتيادهم، بعد ذلك، إلى مقر سكناهم لاعتقالهم تمهيدا لترحيل الجميع -أطفالا وآباء- إلى موطنهم الأصليّ في أجواء من التنكيل والإذلال»..

«إنّ المجتمع الفرنسي لم يعد يتحمّل من قادته، يا سيادة الوزير، مثل هذا السلوك المشين في حق أشخاص «ذنبهم» أنهم فرّوا من التهميش والبطالة والفساد المتأصل في أوطانهم.. ولائحة الممارسات الشنيعة أطول من أن تستوعبها هذه السطور.. 20 غشت 2012: سناء من أصول مغربية (تسع سنوات) تقضي 24 ساعة لوحدها مرعوبة في البيت بعد أن اقتيد والدها من دون وثائق الإقامة إلى مركز الشرطة في الدائرة العاشرة. 8 أكتوبر: عصمان، موريتاني الأصل (أربع سنوات ونصف) يقضي ثلاثة أيام وحده في البيت، بينما والده في مركز اعتقال في مارسيليا، ووالدته في قسم الولادة. 14 أكتوبر: المغربيتان رانيا (ست سنوات) وشقيقتها كنزة (ثمان سنوات) تنتظران لمدة أسبوع والديهما المعتقلان في مركز الشرطة في الدائرة 20 تمهيدا لترحيلهما في ظروف مخجلة.. وفي كل مرة كانت الشرطة على علم أنّ الأطفال هم وحدهم في البيت تحت رحمة العناية التي يتلقونها من بعض الجيران أو الجمعيات المهتمة بحقوق الطفل. 25 نونبر: مراد، مغربي (26 سنة) يرتمي من الطابق الرابع في أحد أحياء مدينة بوردو هروبا من قبضة الشرطة، التي لاحقته في قلب العمارة. قاوم أسبوعا إلى أن لفظ أنفاسه في المستشفى، في غياب أيّ شخص من ذويه وأصدقائه..